بين الوزارات... والتلفاز!

في القرن الماضي، برز كتّاب مجيدون، وشعراء مطبوعون، وأدباء بارعون، وخطباء مميّزون، وكلهم استمدّوا، في المَآرِم الخالدة، من الينبوع الزاخر، ينبوع اللغة المتدفّق من معجماتها الأمّات، مجترّين بانتقاء الألفاظ الملائمة للتعبير عن أفكارهم فصاحة وبلاغة.

أما اللغويون الذين استقصوا الفرائح في جمع شتات الفرد في دواوينهم، فقد كان لهم الفضل العميم على اللسان العربي واهله مدى الدهر، لحفظهم مأثرته، بما أودعوه من الفرائح الوقّادة، ما أخرجوه من المعارف الفيّاضة، وبما بذلوه من الجهود الجبّارة.

وفي أثناء القرن العشرين ذاك، بدا عصر النهضة العربية المباركة، عصر العلوم والمخترعات الحديثة، عصر النقل والوضع والتجديد، عصر الجامع والمنتدى اللغوية، يذكّرنا بعهد العلوم الثمانية والمعارف الدخلية، عهد التعريب والترجمة في بيت الحكمة، في دار السلام.

اللغة العربية هي القومية العربية بالذات، هي سجل تاريخ الآباء والأجداد، هي ديوان مآثرهم الثقافية والخُلُقية والأدبية، فاستهانتها في هذه الأيام هو استهتار لقوميتنا وإهانة لأرواح أولئك الآباء والجدود.

عفا الطلل، كانت، ويا للأسف، في تسلّم غير الأكفاء، مراكز ليسوا لها، انها منهم براء.

أفيقي يا وزارة التربية، أوَلَم تسمعي بعد، جمجمات أرحاء الثقافة، التي بلغت عنان الجوزاء، فاسكتته أوَلَم تزكمك روائح نتانة فحماء، بيّنها في الأعمال والأنسية؟

ويا مجلس النجوم والإنماء، هلا عطفت على الفصحى الجريح والناعسة الحظ، هلا تكرّمتِ عليها بمجدٍ في إمرها، وأطلته بعناً واجباً وأساسياً ومشفاً، لتتنشلها، من مهاوتها السحيقة؟

ويا مجلس الإنماء، هلا انتشلتَ الفصحى، من داء عياء، دعاها فبراها، هلا وصفتَ لها دواءً ناجعاً، فتنشيها فتنعشها فتنبّهها فتبرهن فعلاً، كونك عن جدارة، مجلس النجوم والإنماء؟

ويا وزارة الإعلام، أن سلاحك الأوحد والأمضى والأجدى، أن سيف فصحاك، قد قيل التفاز مقطعه، قد ثلم حدّه، فقلّ عرضها، وتركها موحشة تئنّ من جراحاتها العميقة، يا وزارة الإعلام، كيف ترتضين سلاحك الأوحد، سيفا كهاما مخلولا، وفي استطاعتك جعله بتاراً ومجليا، لا يُشقّ له غبار.

ويا وزير الثقافة الذي جمع الزراعة إليها على وجه غريب عجيب، يا أيها المُغيّر على فصحاكم، على قوميتكم، أفيقوا من سباتكم العميق، أما سمعتم هزيم رعود التفاز وانفجاج، وقد سمعها كلكل النّاس، حتى طرشانهم، أوَلَم تشاهدوا الأخطاء الصرفية والنحوية، متبرّجة تتصدى للمشاهدين، وقد شاهدوها كلهم، حتى عميانهم؟

أن كحل ذي بصر وبصيرة واطلاع، يثبت له، على الفور، أن الخلل التقريبي، الأخطاء التفاز الصرفية والنحوية، على مدى نصف ساعة فقط، هو عشرة انها ليست أخطاء، بل شظايا عنقودية فتّاكة، لا تُبقي ولا تذر، فيما عليه، أن مقدار ما يتطاير من شظايا هذا التفاز، في أثناء بثه اليومي الواحد، هو زهاء مئة شظية، أوليس هذا فادحا وفاضحا وكاسحا وماحقا يدمّر من صروح الفصحى، التي شادتها مهارة مئات، بل الوف المئين من أضعاف أضعاف ما دمّرت وتدمّر الغارات الإسرائيلية المشؤومة من أرضنا الطيّبة.

يا لضياع الجهود الضريبي الذي غدا مجهوداً مضاعفاً وهي بُعد(!!)، من الهمة، من وزارة التربية، إلى الصفة، إلى الإدارة، فالكتاب فالمعلم فالتلميذ!.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه